
الحركات الشعوبية والأممية
42

حسن أبو يوسف الكويتي

الحركات الشعوبية والامية

خلفيــة تــاريخيــة

التاريخ يكشفهم : ــ

لم يكن أساس الحركات الاسلامية ــ التى تجاوزت القومية ، ووقعت في المصاف الاممى ــ الا شعوبياً .

والشعوبية في حد ذاتها ، ليست حركة تمثل فئة معينة أو شريحة اجتماعية بعينها ، بل انها تمثل اجتماع الجهد المبذول من قبل شعوب غير عربية متعددة لزعزعة الاستقرار العربي، من منطلق الحرص الدينى المزعوم، في محاولة منها لإضعاف الاسلام وضربه ، وصد قوة الثقافة العربية واحياءاً لأساطيرها وخرافاتها البالية .

ذلك انه من الطبيعى ، وقد اتسعت رقعة العالم الاسلامى بعد الفتوحات الاسلامية ، ودخل في الاسلام فئات من الناس ، من مختلف الأجناس ، ومن بيئات متباينة وثقافات متعددة ، ان تجد أمورٌ وتستحدث

الكثير من المشاكل .. فرغم سماحة الدين الاسلامى ، ورغم أنه يوحد هؤلاء برباط روحى .. إلا أن العامل القومى ولا شك سيلعب دوره في دولة بنيت على أساس دينى ..

فالحركة الشعوبية التى أطلت برأسها ، وبدأت تظهر بوضوح في الفترة الأموية الأخيرة ، ليست سوى مظهر لذلك تمثل في محاولات شعوب غير عربية ، لضرب الاستقرار العربي وعقيدته الاسلامية .

وان كانت هذه الحركات قد ظهرت في العصر الاموى وكأنها تحمل روحاً اسلامية ، في مناداتها بالمساواة ، فإن حقيقتها ومراميها قد تكشفت في العصر العباسى .

فلقد استغلت الشعوبية الفتن والقلاقل والصراعات السياسية آنذاك ، وراحت تذكر بأمجادها الماضية وآرائها الدينية الفلسفية .. بل انها في دعوتها هذه بذلت من الجهود الكثير من أجل مسخ التراث العربي وتشويه دور العرب

التاريخى .. فهى تهاجم العرب في كل شيء ، في ملابسهم ، وفي طرائق حياتهم ، وفي أخلاقهم وأنسابهم وحتى أساليب قتالهم ..

* * *

والغريب ان هذه الحركات التى تصبغ على نفسها هالة من القداسة الدينية ، نجدها تلتقى مع حركات أخرى لا تعترف بالدين مطلقاً ، بل تراه مخدراً يخدر الانسان ويقتله.

ان ثمة ظروفاً عدة قد وحدت بينها ، وان هذه الظروف لا تخرج عن كونها ظروفاً تاريخيـة ونفسيه ، لعبت دورها لتجعل من كل منهما تنطلق من منطلق أممى يحمل حملته على القومية ، بل أكثر من ذلك يراها مقتل الانسان ومذبحه ..

فحركة الاخوان المسلمين مثلا والماركسية : من جانب آخر ، كلاهما تمثلان أممية لا قومية ..

الاخوان المسلمون أمميتهم اسلامية في حدود اطار دعوتهم والماركسيون يدعون لأممية عالمية وبالتالى التقت الماركسية

مع الاخوان المسلمين في دعوتهما اللاقومية .. فالماركسية تهدف من وراء ذلك إلى خلق مواطن عالمى ماركسى ، وحركة الاخوان المسلمين تهدف إلى خلق مواطن مسلم ..

فكارل ماركس ، أب الماركسية — ان صح هذا التعبير — عاش في ظروف بالغة الشدة إنعكست على مجمل أفكاره ، حيث عاني الفقر والإضطهاد ، وشاهد والديه يتقلبان من دين لآخر ومن ملة الى غيرها .. فقد اعتنق والداه اليهودية في وقت كان فيه اليهودى منبوذاً في أوربا . يعامل معاملة البهائم ، بوصف اليهود أقلية وسط عالم مسيحى ، وما دعوته الاممية الا استجابة طبيعية لهذا الظرف الذى عاشه ..

اما حملته على الدين فتنطلق من منطلقات عدة لعل أبرزها ، تقلب والده من المسيحية الى اليهودية ، علاوة على الزمن الذى عاش فيه ماركس ، والذى إمتاز بسيطرة الكنيسة ، ودكتاتورية البابا الذى كان يبيع صكوك الغفران ويمنح قطعاً من الجنة .. مما خلق في نفسية ماركس

مغالطات كثيرة ، الامر الذى جعله يرفض الدين ويتجاهله ويراه مسكناً ومخدراً ليس الا . .

* * *

وبالمثل فإن حزب الإخوان المسلمين ، الذى ينادى بالامية الاسلامية ، تحت شعار ديني ، ما هو إلا عبارة عن مجموعة من الأفكار انحدرت من مبدأ استغلال الدين لخدمة أهداف سياسية سلطوية بحتة .. تماماً مثلما يدعو لذلك « جمال الدين الأفغاني» .. في أفكاره .

ولقد أخطأ الكثيرون في تقييم الدور الذى لعبه « الافغاني » في المنطقه العربية في نهاية القرن الماضى وبداية القرن العشرين ، ذلك ان جل كتابات الافغاني لم تكن باللغة العربية ، وانما كانت باللغة الفارسيه أحياناً وبالارديه أحياناً أخرى .. وتحركات الافغاني في المنطقة آنذاك ، لم تكن إلا لغرض في نفس يعقوب ، فهو يمثل نموذجاً للانسان السيء ، الميكافيللى الطبع ، ينطبق عليه القول الذى يقول : « ان الغاية تبرر الوسيلة » .

ولم يكن الأفغاني في حقيقته سوى عميلا ماسونياً يهدف إلى تشويه الدين الاسلامى وقيمه الروحية العادلة .

ففى بداية حياته التقى الافغاني بالامبراطور الايراني « ناصر الدين شاه » في لندن .. وعرض عليه خدماته كنصير له لتسهيل مهمة الشاه وخدمة أطماعه التى كانت ترمى الى الاستحواذ على مقاليد السلطة في العالم الاسلامى ..

ولقد أبدى الأفغاني كثيراً من التملق أمام الشاه ، من أجل أن يحوز على رضاه ، مخاطباً إياه قائلا : « أيها الملك العظيم ، لقد عبرت نصف الأرض ، والعالم الاسلامى بأكمله ، وبسبب فارسيتى وإيماني بجلالتكم فإني أحلم أن أقدم لكم تجاربي وعلومى ، انكم أعظم من السلطان العثماني والخديوى المصرى ، وأحق منهما بأن تكون خليفة للمسلمين ، ومسيرة هذه الخلافة لن تكون صعبة لو أعطيتموني مهام الدليل على الطريق ، فأنا لا أريد شيئاً سوى ان أكون الى جواركم والتقرب منكم ليلا ونهاراً » .

كانت تلك بدايات اتصالات الافغاني بالشاه ، ثم ما لبثت ان تطورت الأمور الى حد دعوته الى طهران ، عن طريق ماسوني معروف يدعى «محمد خان» وهو أحد كبار أعضاء «بيت نيسان» الماسوني . . ومن يومها صار الافغاني ذا حظوة عند الشاه ، لدرجة السماح له يومياً بزيارة القصر الامبراطورى «غولستان» ومقابلة الامبراطور . .

الا ان الامور لم تسر على هذا المنوال طويلا ، وسرعان ما تكشفت حقيقة الافغاني أمام الشاه . . كان ذلك بمجرد تمرد الافغان على الامبراطور ، واعلان استقلالهم عن ايران بدعم بريطاني . . وكانت بدايات حقيقة الافغاني تصل أولا بأول الى الامبراطور . فالافغاني يحاول استغلال مركزه لابتزاز بعض الامراء والوزراء وكبار ضباط الجيش الايراني ، لغرض الحصول على معلومات تتعلق بأخبار الجيش واستعداداته وخططه العسكرية لمواجهة التمرد الافغاني . .

وترددت الأنباء حول الاتصالات المشبوهة للافغاني

ببريطانيا ، عن طريق السفارة البريطانية في طهران .. وبعد أن تم القبض عليه من قبل رجال الشاه ، وهو يهم بدخول السفارة البريطانية ليلا ، مرتدياً الزى النسائي ..

ولقد كان الشاه متسامحاً معه إلى أبعد حدود التسامح ، فلم يتهمه بتهمة الخيانة العظمى التى يعاقب عليها بالموت، وانما أفرج عنه وقرر ابعاده عن ايران ..

وينتقل الأفغاني من ايران إلى الآستانة ، ليلعب دوراً آخر لا يقل عن دوره السابق .. وبطرقه الميكافيلية الخاصة صار من المقربين للسلطان العثماني ، وتحدث معه بنفس اللغة التى تحدث بها مع الشاه ، عارضاً خدماته على السلطان ، في سبيل السيطرة على ايران وأفغانستان ، لتكوين خلافة عثمانية اسلامية تصل حتى حدود سور الصين ..

وكما قيل عنه : « لقد كان في ايران فيلسوفاً ايرانياً ، ينادى بالامبراطورية الاسلامية « الشيعية » بقيادة ناصر الدين الشاه ، فأصبح عالماً اسلامياً « سنياً » يتكلم التركية في

الاستانه . وينادى بالخلافة الاسلامية الضائعة تحت راية السلطان العثماني . .

وبعد ذلك ، نراه خطيباً عربياً في القاهرة ينادى بضرورة الوقوف أمام ما أسماه بالزحف الفارسى والزحف التركى . .

وبعد هذا كله ، فقد عاد الأفغاني إلى طهران ، بعدما التقى الشاه ثانية في عاصمة النمسا « فيينا » ليمارس ذات الأدوار السابقة وتقمص الاقنعة والتودد لمن هم على هرم السلطة .. حتى ولو كلفه ذلك تزعم حركات التخريب والاجرام فأقام محفلا سرياً لتدريب المخربين في « اسطنبول » وبعد فترة استطاع ان يقتل الشاه على يد احد ازلامه ويدعى « ميزرا » خدمة لبريطانيا .

وبعد تنفيذ هذه المهمة البريطانية ، ظهرت نواياه الحقيقية في تدمير القومية العربية .. وكان أن اتفق مع السلطان عبد الحميد فكرة ما يسمى بالجامعة الاسلامية على أمل أن تؤدى هذه اللعبة إلى تدمير القومية العربية

وفي تقرير سرى كتبه اللورد « راندولف تشرشل » والد « ونستون تشرشل » يدور حول مشروع « الجامعة الاسلامية » المقترح ، تتضح حقيقة المرامى التى يهدف اليها الافغاني من وراء تبنيه لما يعرف بالوحدة الاسلامية .. وهنا نشير الى جزء من تلك المحادثات التى دارت بين الافغاني وتشرشل ..

الافغاني :

« يا سيادة اللورد لقد وصلت الى الاقتناع بان الطريق الوحيد للتخلص من « القومية العربية » و« القومية الطورانية » هو احياء فكرة الوحدة الاسلامية .. ولان أسباب هذه الوحدة غير موجودة فلن يفكر أحد في أن لكم يداً في هذه المسألة .. فلو درسنا الموضوع بالدقة اللازمة فإن هناك ملوكاً وأمراء مسلمين لا يحبونكم ولو لعبنا بورقه الوحدة الاسلامية فستتمكن من ان نقنع الناس بأن الملوك وأمراءهم هم الذين يعارضون الوحدة الاسلامية بين المسلمين وبهذه الطريقة سوف نتخلص منهم ، فالشعوب في المنطقة سوف تثور عليهم .

تشرشل :

وكيف يمكن اللعب بهذه الورقة* حين يدعى سلطان عثماني بأنه خليفة المسلمين ؟ ولو هناك دعوة للوحدة الإسلامية فمن هو أحق منه ؟ » .

الافغاني :

« السلطان العثماني تركى أولا .. ثم مسلم ، وهذا هو مصدر ضعفه فالفرس والعرب لا يقبلون بخليفة تركى ، ولكنى اتكلم الفارسية والعربية والتركية ، ولو عرضت عليهم فكرة الوحدة فلن يعترضنى أحد .. اننى عربي في مصر .. وافغاني في الهند .. وايراني في ايران .. وتركى في آسيا الصغرى .. هل عندكم مانع من قيامى بدور الداعى الى الوحدة ؟ » .

وهكذا فإن ابلغ ما قيل عن الافغاني ، انه بلا هوية ولم يكن له دين أو وطن ..

لقد كان الافغاني ذاته على اتصال باليهود ، وما

جمعية « العروة الوثقى » الا محفل ماسونى سرى ، وصحيفة « العروة الوثقى » هى الناطقة بكل ذلك .

وطوال اقامته في باريس ، كان الافغاني على اتصال دائم باليهود ، الذين كانوا يساعدونه على اصدار صحيفة « العروة الوثقى » . أحد اليهود ويدعى « جيمس سانوا » من الأثرياء ، حيث دفع للأفغاني مبالغ طائلة لاصدار صحيفة باسم « أبو نظارة » .. ويؤكد اتصالاته باليهود ماذكره تقرير بعث به « بلاتكيت » السفير البريطاني في باريس الى اللورد « جراند نوبل » وزير الخارجية البريطانية آنذاك ، والذى يحكى فيه قصة لقائه مع الافغاني في حضور خمسة من أثرياء اليهود .

* * *

ومجمل القول :

ان هذه الحركات الاممية ، التى اتخذت فيما بعد من الاطارات الحزبية كتنظيم وقالب لها ، والتى انحدرت

من جملة من أفكار الافغاني وتلاميذه «محمد عبده» غيره يكمن خطرها في نقاط عدة منها : —

— أفكارها تنحدر من جماعة غير عربية .

— افكارها أفكار ماسونية .

— أفكارها ليست سوى ردة فعل نتيجة احباطات معينة تعرض لها مريدوها ، ويلاحظ ذلك من خلال كل المواقف التى مرت بالافغاني ، والتى وقفت حَجر عثرة أمام طموحاته السياسية ، فالافغاني لم يكن رجلا دينياً ، وانما كان رجلا سياسياً يرمى من وراء كل تحركاته تحقيق مطامع سياسية تحت ستار دينى . .

— ان الاقليات المسلمة غير العربية هى التى جلبت معها أول خيوط الاممية ، وان الاقليات التى تعتبر نفسها غير عربية هى التى تعتنق الاممية الاسلامية من أجل خلق مواطن مسلم . . وان القفز على القومية وتجاهلها الى الاطار الاممى ، ليس له من تبرير سوى جملة العوامل النفسية ، التى تراكمت عبر فترات تاريخية ، تمثلت في شعور تلك الاقليات بعدم المساواة امام

الاغلبيـــة . . والتى رأت انه ليس هناك من سبيـــل لتحقيـــق ذلك سوى تـــذويب الاقليـــة في الاغلبية من منطلق أممى وربما دينى أيضاً . .

- وبينما نجد الجذور البعيدة للحركات الاسلامية الاممية تعود الى الشعوبية التى ظهرت بين أوساط العجم والفرس وغير العرب نجد ان البذور التكوينية الأولى للاممية الماركسية ترجع للاقليات من الأرمن والتركمان ومن اليهود بصفة خاصة . . وكلها تعود إلى ذات التراكمات التاريخية والنفسية . وان تلك الاقليات عندما تتقمص الطابع الاممى ، سواء الاسلامى أو الماركسى ، ليس ذلك حباً منها في الفكر الماركسى أو حرصاً منها على الاسلام .

- ان تلك الحركات تلتقى تلقائياً مع القوى الاستعمارية في العمل على ضرب القومية العربية ، رغم الادعاء بأن هذه الحركات لم تقم الا لمحاربة الاستعمار ، الا أن وجود الهدف المشترك الواحد بينها وبين القوى

الاستعمارية ، جمعها في بوتقة واحدة . وجعلها تجذف في اتجاه واحد . . وأصبحت تلك الحركات إضافة إلى عمالتها للقـــوى الاستعماريـــة أداة الاستعمـــار لضرب القوميـــة العربيـــة . .

حسن أبو يوسف الدويشي

« بين الدين والسياسة »

« دينهم شعار بلا محتـوى »

الناحية الدينية في هذه الحركات هى مجرد شعارات فقط دون أى محتوى . . وهذا بطبيعته راجع الى كون أساس تلك الحركات – كما رأينا – ينطلق من منطلق شعوبي لا ديني ، متخذاً من المساواة التى ينادى بها الدين الاسلامى ستاراً لا لتحقيق المساواة ذاتها ، ولكن لتحقيق مآرب سياسية أخرى . .

فهى منذ بداياتها التاريخية الأولى ، تنطلق من منطلق ماسوني سياسى ، حتى وان كانت الماسونية غير واضحة آنذاك . .

وحتى إن أسبغت هذه الحركات على نفسها هالة من القداسة الدينية ، الا انها ليست من الدين في شىء . . ولا يخرج الثوب الديني الذى ترتديه عن كونه ستاراً وطعماً لاستقطاب الاتباع والسذج والبسطاء والتغرير بهم . .

والأفغاني ذاته ، تم تسخيره لخدمة أهداف استعمارية القصد منها تزييف المعتقد الديني وتشويه معالمه الحياتية . . يقول أحد ممن كتبوا عن الأفغاني وتحدثوا عنه : –

« هذا الداعى الذى جاهر بالوحدة الاسلامية ، لم يصم ولم يصل يوماً من الايام . . » ، وتذكرنا تقارير السفير البريطاني في باريس « بلاتكيت» بالاتجاه الدينى للافغاني ، تلك التقارير التى يشرح فيها لقاءه مع الافغاني في حضور خمسة من أثرياء اليهود الذين يمتدحون الافغاني . .

والمنطق الدينى الذى تدعو له هذه الحركات ، فحواه غاية في الانحراف فهو يقوم على الانقياد الأعمى ، والانصياع التام للامام . . وهو يقول بخرافه غفران المعاصى والآثام والذنوب ، على غرار المنطق البابوى الذى يرتقى الى مرتبة تأليه البابا ، الذى يمنح صكوك الغفران ، حيث يجلس المذنب في غرفة مظلمة الى جنب القسيس ، معترفاً بكل ذنوبه وخطاياه ، فيغفرها له القسيس نيابة عن البابا ، ويبارك له « الروح الطيبة » ويمنحه قطعة من الجنة . . وهذا المنطق أو الأسلوب لا يخرج عن كونه أسلوباً ابتدعته الكنيسة البابوية .

لتبرير دكتاتوريتها وتعزيز سلطتها الدينية ، في محاولة لجمع السلطة الدينية والزمنية في يد البابا ، من منطلق الحق الالهى للبابا في السيطرة على البشر . . علاوة على كونه أسلوباً للسيطرة على الاتباع ، بحيث يصبح كل منهم ترساً يدور في الآلة البابوية . . ايماناً منه بأنه يحسن صنعاً ، وان ذلك مشيئة الله وقضاءٌ وقدرٌ لابد منه . .

ان الكنيسة البابوية مثلا استطاعت ان تحفر هوة سياسية عميقة ، وان كان يغلفها غلافُ دينى . . فحركت بيادق أوربا الصليبية نحو أرض العرب ، التى أشار إليها البابا « اربانيوس الثاني » تلك الأرض التى تفيض لبناً وعسلا ، مصوراً لهم ان المشاركة في الحملات الصليبية تسقط في الآخرة دين المدينين ، وتبرىء ذمة المفلسين ، حتى الذنوب غفرها البابا آنذاك في دعواته نيابة عن الله . .

وهذا المنطق ذاته هو الذى تردده الحركات الاسلامية الآن ، وتزج باتباعها في متاهات سياسية يغلفها غلاف دينى . .

صحيح ان بعض تلك الحركات كانت في الأصل حركات تربوية ، هدفها تحصين النشء أمام تيار الحضارة الغربية الجارف ، الا انها انحرفت ووجدت نفسها داخل الدوامة السياسية . .

ويكفى ان نشير الى احصاء جرى في يناير ١٩٨٢ م لهذه الحركات الاسلامية في مصر ، والذى كانت نتيجته وجود ٩٩ حركة اسلامية ، كل منها تكفر الاخرى ، وتقذف غيرها بالتهم والالحاد والخروج عن طاعة الله ، وترى في أتباعها ملائكة سوف يظلهم الله تحت ظله ، وكل حركة تمنى أتباعها بالجنة ، وترى في الحركات الأخرى وقود جهنم . .

« ليس لهم سوى الخيانــة »

وحزب الاخوان المسلمين مثلا ، والذى يمثل افرازاً لجملة التيارات الشعوبية ، يعكس تماماً ما أشرنا إليه . .

واذا كان في بداياته الأولى مجرد أفكار تربوية ترتبط بالتيار السلفى .فإنه سرعان ما أصبح حزباً سياسياً ،

لا تمثل فيه الناحية الدينية سوى شعارات بلا محتوى . .
و«حسن البنا» ذاته مؤسس حزب الاخوان المسلمين ، استمد قوته من النظرية التى ألبست فكرة البيعة ثياب الخضوع المطلق .. لدرجة أصبح فيها تنظيم الاخوان الخضوع المطلق .. وتحكمه في زمام الأمور ما خفى منها وما ظهر .. لدرجة أصبح فيها تنظيم الاخوان المسلمين يسيطر على حياة المنتسب سيطرة تامة ، فهو الذى يختار له العمل والزوجة ، من منطلق مبايعة الأمير على السمع والطاعة . .

وحتى الظروف التى نشأ فيها حزب الاخوان المسلمين هى ظروف تحتاج منا للتوقف أمامها طويلا . .

كانت بدايات الثلاثينات من هذا القرن تشهد تصاعداً في الكفاح الشعبي للجماهير العربية ، ضد الاستعمار واحتلاله المباشر للوطن العربي . . وضد أدواته في المنطقة العربية . . ولم يكن للاستعمار من يد سوى البحث عن وسيلة تمتص حماس وغضب الجماهير العربية ، تسهيلا لمهمته التى تتمثل في ضرب الامة العربية والسيطرة عليها . .

ومن الطبيعى جداً ان تلتقى أهداف المستعمرين مع أهداف تلك الحركات الاسلامية الاممية ، لاحداث تصدع في القومية العربية .. ولقد وجدت القوى الاستعمارية ضالتها تلك قد تجسدت في أفكار « حسن البنا » . .

ففى فترة كانت مصر كلها تغلى بالكفاح ضد الاستعمار مطالبة بالجلاء .. معبرة عن ذلك بشتى السبل نجد الاخوان المسلمين ينحرفون بالقضية كلها نحو ضرورة التركيز على الخلافة الضائعة . .

وحتى بداية ظهور حزب الاخوان المسلمين كانت بدعم استعمارى ، اعترف به البنا ذاته . فقد تحصل الاخوان على تمويل خاص . تحت بند التبرعات ، من شركة قناة السويس الانجليزية .. وحتى المؤسسات التى أقامتها جماعة الاخوان المسلمين توحى بارتباطها بالافكار الماسونية ، فكانت النوادى والمشاريع التى تتستر بستار الاعمال الخيرية وخدمة البيئة ، من أبرز تلك المؤسسات . .

وهكذا بدأت تتكشف هوية الاخوان المسلمين السياسية

والاستعمارية أيضاً . . بالرغم من مظاهر الخلط والمراوغة التى تعمدها الاخوان المسلمين . . فتارة يسمون أنفسهم بالمؤسسة الإجتماعية وتارة أخرى بالجمعية الخيرية وأخرى بالروح الجديدة والنور الجديد . . وأخرى بالهيئة السياسية . . وتصف (هاريس كريستنا) وهى باحثة غربية ذلك في كتابها « السياسة والثورة في مصر » الأسلوب بأنه « أسلوب ذو فاعلية واقتدار فهو يؤكد على الطابع الدينى للجماعة اذا ما جابهه في الحكومة رئيس قوى ، ولكنه لا يلبث أن ينغمس في الصراعات السياسية اذا ما وجد أمامه رئيساً ضعيفاً للحكومة » . وهذا القول يصدق من زاوية أخرى اذ يمكننا القول : « ان الجماعة جماعة دينية متى كانت القوى السياسية المتحكمة في البلاد قوى مرتبطة بالاستعمار ، وهى جماعة سياسية متى كانت القوى السياسية المتواجدة في البلاد قوى تقدمية تناهض الاستعمار وتحاربه » .

فقد وقف الاخوان المسلمون بشدة مع الملك فاروق المعروف بارتباطه الاستعمارى. والبنا نفسه يقول : « ان لنا

في جلالة الملك المسلم أيده الله أملا » . وهم اذ ينادون بالخلافة الضائعة ، وقفوا هاتفين لفاروق « نهبك بيعتنا وولاءنا على كتاب الله وسنة رسوله » . وعندما اختلف النحاس باشا مع القصر ، خرجت جماهير الشعب المصرى تهتف « الشعب مع النحاس » فسير البنا جماعته يهتفون « الله مع الملك » .

وعندما قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ م بقيادة عبد الناصر كان الاخوان المسلمون من أشد أعدائها ، وكانوا الخصم العنيد لعبد الناصر ، تآمروا عليه وحاولوا قتله ، ونحن لسنا هنا بصدد إستعراض مؤامراتهم ، فهى ليست خافية على أحد .

* * *

ان حزب الاخوان المسلمين لا يمثل الا نموذجاً لغيره من الاحزاب الاسلامية الأخرى ، والتى ينطبق عليها ما يلى : –

– انها أحزاب سياسية لا دينية ، وما الناحية الدينية

لديها الا طبقة عسل يغوص الانسان بعدها في برميل من القطــران السياسى .

– انها أحزاب تخريبية ، ترفع المصحف زوراً وبهتاناً ، وتنفذ مطامعها السياسية عن طريق الديناميت . .

– انها أحزاب بلا هوية . . بلا إنتماء . . بلا وطن . . وانها أداة إستعمارية . . دعمها الاستعمار وتربت في كنفه . . وهى مولود غير شرعى في المنطقة العربية ، وحقيقتها التاريخية تقول : « انها نتاج تيارات شعوبية ، معادية للعروبة والاسلام معاً » . .

« القـوميـــة . . والـديـــن »

الـدين والحركات الجماعية

القومية والدين عاملان متلازمان في حياة البشر .. فلا يمكن بأى حال من الأحوال بعث قوم وترك دينهم .. ان ذلك يعني اخلالاً بحركة التاريخ ومكوناته الطبيعية « القومية والدين » ..

والقاعدة السليمة هو ان لكل قوم ديناً ، والشذوذ خلاف ذلك ..

فالقواعد الطبيعية السليمة تقول : « لكل أمة دين ، حتى يتطابق العامل الاجتماعى أى القومى مع العامل الدينى ، وانه لا سبيل الى تحقيق الانسجام والاستقرار في حياة الجماعات البشرية الا عن طريق ذلك » . ان هذا القول قانون طبيعى ثابت وتجاهله أو الاصطدام به يفسد الحياة .

وهكذا تفسد الحياة الانسانية عندما يبدأ تجاهل القومية أى العامل الاجتماعى ، وعندما لا يتطابق العامل الاجتماعى مع العامل الدينى .

ان التاريخ ذاته يكشف لنا هذه الحقيقة ، فكل الحركات التى سجلها التاريخ ، والتى تبنت جانباً واحداً وتغاضت عن الجانب الآخر ، هى الحركات التى كان نصيبها الفشل .

ويمكن وصف تلك الحركات بأنها شاذة — ان صح هذا الوصف — لانها تسير عكس اتجاه القواعد الطبيعية السليمة . فكل الحركات التى تبنت الجانب الدينى ، وأدارت ظهرها للجانب القومى كان مصيرها السقوط .. والحركات التى تبنت الجانب القومى وادارت ظهرها للجانب الدينى فشلت حتى في أداء مهمتها القومية . .

ان الوطن العربي خير مثال واضح على قولنا هذا . فكل الحركات القومية ، التى رفعت شعار الإنبعاث القومى دون الانبعاث الاسلامى للأمة العربية ، لم تنجح شعبياً ، لانها تجاهلت جانباً مهماً من مكونات الامة العربيـــة ، بل انها فشلت حتى في تأدية مهمتها القومية . .

وكل الحركات الدينية التى تبنت الجانب الاسلامى ، وأدارت ظهرها للقومية العربية ، متجاوزة حدود الأمة

العربية تحت شعار الاسلام ، فشلت حتى في تأدية رسالتها الاسلامية ، بل انها أصبحت هدفاً للسخرية والتهكم . .

* * *

واذا كنا بصدد الحديث عن الحركات الاسلامية ، التى تجاوزت حدود الأمة العربية ، لتقع في المصاف الاممى الاسلامى ، فإننا نقول : —

ان تبنى تلك الحركات للجانب الدينى — حتى وان كان ستاراً — والتغاضى عن الجانب القومى ، هو في حقيقته ليس سوى حركة عرجاء مصيرها السقوط عاجلا أو آجلا . .

اذ انه لا يمكن بأى حال من الأحوال تحقيق انبعاث اسلامى دون العرب . . فالاسلام دين العرب . . بلغتهم نزل وعلى نبى منهم . . وفي أرضهم . . والعرب هم مادة الاسلام ، وهم الذين حملوا لواءه إلى كافة اصقاع الأرض . . وان أى عملية للفصل بين العروبة والاسلام هى أشبه بعملية تخليص الجثة من الروح . .

– فالعلاقة بين الأمة العربية كقومية ، والاسلام كرسالة سماوية ، علاقة عضوية وثيقة .

– وان أى هجوم أو تفتيت أو إضعاف للأمة العربية هو في حقيقته إضعاف للمسلمين جميعاً في مشارق الأرض ومغاربها ، لان الإسلام لم ينتشر الا بأبناء الأمة العربية . .

– وانه ليس هناك أى تناقض بين مفهوم القومية العربية وبين مفهوم الاسلام . . حتى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان إماماً للقومية العربية ومثلها الأعلى . . وكان رسولا للانسانية . .

– والعلاقة ذاتها بين الاسلام والعروبة علاقة متبادلة ، ففى قوة العرب قوة الاسلام وفى قوة الاسلام قوة للعرب ، والاسلام جعل من العرب أمة ذات كيان حضارى باق الى الأبد ، في حين جعل العرب من الاسلام رسالة خالدة باقية الى الأبد . .

وهكذا نرى من كل ما تقدم ، انه لا يمكن فصل العروبة عن الاسلام . كما أنه لا يمكن بأى حال من

الأحوال فصل أى أمة عن دينها . . فذلك ضد الطبيعة وضد الحياة . . وان مفهوم القومية العربية لا يتناقض أبداً – كما يدعى المشككون – مع مفهوم الاسلام . بل ان حركة القومية العربية نجدها منسجمة طبيعياً مع حركة الدعوة الإسلامية . حيث يكون الاسلام روحاً والعروبة جسداً ووعاء . ولم يكن هناك أى تناقض أوتصادم بين القومية العربية .. والاسلام على الاطلاق..

والخلاصة : ان الاسلام دين العرب والعرب هم من حملوا لواء الاسلام . . ولما امتدت الفتوحات الاسلامية تحت رايه العرب شرقاً وغرباً ، وتجسد للأمة العربية كيان حضارى سيبقى الى الأبد ، ثار الحقد في نفوس الاعاجم والفرس والروم وغيرهم . . ولما كانوا يعرفون ان مصدر قوة العرب هو الاسلام وان مصدر قوة الاسلام تكمن في العرب . . بدأ التآمر على العرب ومن منطلق الحرص على الاسلام .

وكان هدفهم من وراء ذلك طمس وتدمير المعنى القومى للأمة العربية ، ثم عملوا بعد ذلك على تفتيت

الأمة العربية ، عن طريق الحركات الشعوبية والاقليمية التى ظهرت بين صفوف المسلمين . . وظلت هذه الحركات تختفى حيناً وتظهر حيناً آخر ، تشتد هجماتها تارة وتهدأ تارة أخرى ، متخذة أشكالا تنظيمية عدة ، لكن هدفها جميعاً يكمن في ضرب الأمة العربية وتفتيتها تحقيقاً لمرامٍ سياسية . .

والحركات الاسلامية التى نراها الآن هى نتاج لكل ذلك ، وحتى وان ظهر بعضها في البداية كحركات تربوية ، الا انها تورطت في دهاليز الصراعات السلطوية ، تحولت بمرور الزمن الى أحزاب تنظيمية سياسية يمينية ترتبط بالاستعمار . . مستهدفة الوجود العربي . . شأنها شأن القوى الاستعمارية . .

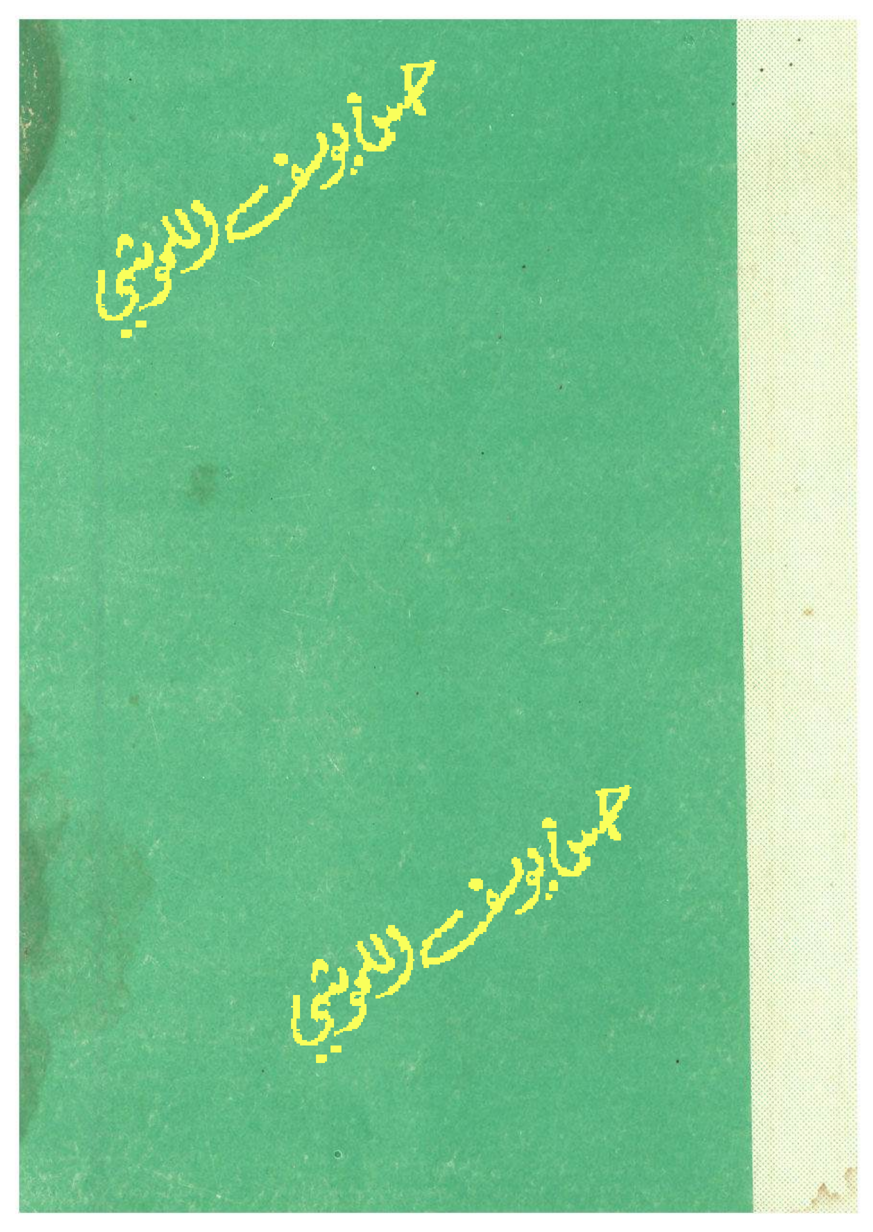
شعبة المناهج والتعميمات

سلسلة تعميمات حركة اللجان الثورية

شعبة المنهج و التعميمات

مكتب الاتصال باللجان الثورية

طرابلس الجماهيرية


حسن يوسف اللويتي
حسن يوسف اللويتي